

## الشعر الجاهلي بين الشك واليقين

الدكتور عبدالله حسيني\*

أستاذ مساعد بجامعة فرهنغبان (برديس شهيد بهشتي - بندرعباس)

(٢٥١- ٢٧٤)

تاريخ الاستلام: ٩٠/٠٩/٢٠؛ تاريخ القبول: ٩١/٠٢/٢٤

### الملخص

إقترنت ظاهرة الشك في الشعر الجاهلي بقضية الانتحال، و هي ظاهرة أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم. و من أهم النقاد القدامي في هذا الجانب محمد بن سَلَام الجمحي، وعبد الملك بن هشام. وكان مرجوليوت أكبر مَنْ أثار هذه القضية من المستشرقين، وقد بنى رأيه على ضريين من الأدلة: الأدلة الخارجية، والأدلة الداخلية. وأول من بحث هذا الموضوع من العرب المعاصرين هو مصطفى صادق الرافعي، ثم تناول البحث الدكتور طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ثم نسخته المعدلة «في الأدب الجاهلي»، وقال: «إنَّ الكثرة المطلقة ممَّا نسَّميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية وإنما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام.» فبحث عن الدوافع والأسباب التي تدفع الباحث الى الشك في الشعر الجاهلي، و قال: «هذا الأدب لا يمثّل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعرب الجاهليين.» ولاحظ أنَّ الشعر الجاهلي لا يَصوّر اللغتين الشائعتين في الجزيرة: لغة الحميريين الجنوبية، ولغة العدنانيين الشمالية. أما أسباب الشك على زعمه فهي: أولاً: إنَّ اللغة لم تكن واحدة في القبائل المختلفة قبل الاسلام. ثانياً: السياسة كانت تجبر الكثيرين على انتحال الشعر. ثالثاً: الدين، كان يدفع المسلمين إلى الانتحال ليذكروا به انتظار القوم بعنة محمد(ص). رابعاً: اتساع الفن القصصي وسرد الحكايات القديمة. خامساً: تنافس العناصر العربية والفارسية وغيرها من الشعوب. سادساً: منافسة الرواة والعلماء في حفظ الأشعار والحرص على تفسير ما أشكل من الألفاظ. فالأسباب التي يوردها الدكتور نسبيّة ولا يصحّ أن تُعمم. هذا فضلاً عن أنَّ الكثيرين من أدباء العرب الأقدمين كأبي زيد القرشي وابن سلام وصاحب الأغاني ذكروا بعض طرق الانتحال هذه، وكشفوا الستار عن كثير من منتحلات حمّاد الراوية وخلف الأحمر. فلم يكد يمضي على صدور كتابيه حتى كانت هناك مجموعات من المؤلفات تنتقد طه حسين وكتابه، أولاً: لأنَّ هذا يشمل كل الشعر الجاهلي تقريباً، وقد بالغ الناقد حتى نفى وجود بعض الشعراء لا من جهة شاعريتهم فحسب، بل من جهة كيانهم أيضاً. ثانياً: لأنَّ إنكاره هذا، وهو المسلم، خرّيج الأزهر، يُعدّ إنكاراً لصحة نسبة الأبيات التي استشهد بها ابن اسحاق وابن هشام في سيرة نبيّ الإسلام (ص) ويمس في بحثه، عن اسباب الانتحال، صفة النبيّ المذكورة من حيث أنّه كان منتظراً في البلاد العربية من عهد بعيد.

الكلمات الدلالية: الشك، الإنتحال، الشعر الجاهلي، مرجوليوت، طه حسين، الحياة الجاهلية، اللغة العربية.

## المقدمة

قضية الوضع والنحل من الظواهر العامة التي عرفها تراث العرب الشعريّ في الحقب التاريخية قبل الإسلام وبعده مع تباين في درجة وجودها تبعاً لاختلاف العوامل والظروف التي أدت إلى ظهورها، وهي ليست ظاهرة في الأدب العربي فحسب، وإنما وجدت في آداب الأمم الأخرى التي لها نتاج أدبيّ. إنّ مردّ شيوع هذه الظاهرة في الأدب العربي القديم يعود إلى الوضع القبليّ الواضح في نحل الأشعار، والرواة الوضّاعين، والرواية الشفوية، وعدم التدوين، والبعد الزمني الذي قطعه هذا النتاج الضخم من التراث الأدبي، واختلاف الأجيال التي تناقلته بوسائلها المتنوّعة. وقد يتفرّع من ظاهرة النحل والوضع ظاهرة أخرى وهي الخلط والتداخل في الأشعار المتنازعة النسبة إلى قائلها، لمشابهة الموضوع الذي قيلت فيه ومناسبتها، وتشابه الوزن والقافية لقصيدة أو مقطوعة لشاعرين مختلفين، ولتضمين أحد الشعراء شعر غيره، إلى غير ذلك من هذه الأمور. وهذا لا يخلّ في صحّة الأشعار وإصالتها، وهي أشعار سليمة صُدرت من أفواه قائلها من الشعراء.

و بعد هذا كلّه، يتبادر إلى الذهن سؤالٌ شغل النقاد والعلماء وهو ما مدى صحّة الشعر الجاهليّ؟ إنه لسؤال يصعب الجواب عليه بدقّة وجزم، وإنه لمن العيب أن نشكّ في صحّة الشعر الجاهلي جملة لمجرد بعض النحل الذي أدخله الرواة، كما أنه من السذاجة أن نولي الروايات الشعرية كامل ثقتنا. وقد اتفق المستشرقون وعلماء العربية على معالجة هذه القضية معالجة علميّة بحثية، وراحوا يتتبعون النصوص والروايات، ويقارنون فيما بين الأقوال والآراء. (الفاخوري، ١٩٨٥م: ١٠١)

ولو سلّمنا بالانتحال والمحاكاة نستنتج أنّ هناك نماذج سابقة وتقاليد أدبيّة موروثه قلّدت وحوكيت. و نفس هذه المحاكاة تدلّ على وجود أصل كانوا يحاكونه، إذ لا يمكن أن يحاكو شيئاً لم يبق منه ما يتيح لهم هذه المحاكاة. وإذن فلا بدّ أن يكون هناك شعر جاهلي عرفه الاسلاميون وحاكوه. و نضيف إلى ذلك أنّ في الشعر الجاهلي صوراً من الأساليب والتراكيب

الملتوية التي تخرج على الصورة النحوية الطبيعية مما يدلّ على قدمها وأنها ليست من صنع العباسيين وأيضاً فإنّ فيه صورة لتهتك خلقي لا يمكن أن تقوم إلا في نفس وثنى على نحو ما يلقانا في معلقة امرئ القيس وحديثه عن المرضع وبسطه لجوانب متعته بالمرأة.

### الشعر الجاهلي بين الشك واليقين

#### ألف) الشعر الجاهلي ونحله عند الأقدمين :

اقتربت ظاهرة الشكّ بقضية النحل التي هي طبيعّية في الشعر وليس بوسع المرء أن ينكرها، وأمرها ليس خافياً على الدارسين، و في الحقيقة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم. ثبت أنّ العرب لم يدوّنوا شعرهم في الجاهلية في ديوان أو كتاب، وإنما كان محفوظاً في الصدور مما قد سبّب ضياع كثير من الشعر الجاهلي، وأصيب بالاختلاق والانتحال.

(الجاحظ، البيان والتبيين، ١٩٧٥م: ج ٢، ١٨، والجاحظ، الحيوان، ١٩٩٦م: ج ٢، ١٣، والأصفهاني، ١٤٠٧هـ.ق: ج ٧، ١٢٠، وابن عبدربه، ١٤٠٤هـ.ق: ج ٦، ١٢٥).

ولم يخف هذا على الرواة والعلماء الأقدمين، فقد تنبّه كثيرون منهم، ومن أشهرهم:

١- عبد الملك بن هشام<sup>١</sup> ت ٢١٣ هـ.

٢- محمد بن سلام الجعفي<sup>٢</sup> ت ٢٣٢ هـ.

وأمّا ما فعله ابن هشام في كتابه «السيرة النبوية» فهو تعقيب ما يروي «محمد بن اسحاق»<sup>٣</sup> وكلّ ما أخذه «ابن هشام» على «ابن اسحاق» يمكن أن نلخصه في أمور أربعة:

١- يورد الأشعار التي أوردتها «ابن اسحاق» وينسبها إلى ما نسبها إليه «ابن اسحاق» ثم يضيف قائلاً: إنها قد تنسب كلّها أو بعضها إلى غيره. فمن ذلك: ما يروي لأمية بن أبي الصلت ينسب لغيره أيضاً. (ابن هشام، ١٣٥٥هـ.ق: ج ١، ٦٢)

٢- يورد الحادثة التاريخية كما وردت في سيرة «ابن اسحاق»، حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه، لأنه لم يصحّ عنده. ومن ذلك: ما ذكره «ابن اسحاق» من نذر «عبدالمطلب» ذبح ولده، فحذف ما جاء في أثناء هذا الحديث من شعر. (المصدر نفسه: ج ١، ١٦٤)

٣- يذكر أبياتاً من الشعر الذي أورده «ابن اسحاق»، ويكتفي بها ولا يورد باقيها. ومن ذلك: ما أورد «ابن اسحاق» لعكرمة بن عامر بن هشام وقد اختار «ابن هشام» ثلاثة أبيات منها فقال: «هذا ما صحَّ له منها.» (المصدر نفسه: ج ١، ٥٣).

٤- يورد الشعر الذي أورده «ابن اسحاق» ثم يذكر أن كلاً منحول. ومن ذلك: ما رواه «ابن اسحاق» من شعر «سعد بن أبي وقاص» و«حمزة بن عبدالمطلب. (المصدر نفسه: ج ٢، ٢٥٤).

وأما «ابن سلام» يتمثل موقفه في قضية الانتحال في الشعر الجاهلي فيما يلي:

١- موقفه النظري:

لاحظ «ابن سلام» أن في الشعر الجاهلي شعراً موضوعاً مفتعلاً، وقد حاول تفسير هذه الظاهرة وردّها لسببين:

أ) تزيد القبائل في شعر الشعراء: لأنها لاحظت أن حظها من الشعر قليل إذا قورن بالقبائل الأخرى.

ب) تزيد الرواة: فقد لاحظ أن كثيراً من الرواة حملوا شعراً مصنوعاً أو أنهم كانوا يصنعون الأشعار وينسبونها إلى شعراء جاهليين وقد قسم هؤلاء إلى قسمين:

الأول: متخصص برواية الشعر كحماد الراوية.

الثاني: رواة الأخبار والسير وقد مثل هؤلاء «بابن اسحاق». (الجمعي، محمد بن سلام،

١٩٧٤م: ٣٩)

٢- موقفه التطبيقي:

و أما موقفه التطبيقي فقد تمثل في تراجمه لكثير من الشعراء الذين صنفهم في طبقات، فكان يرجع إلى أشعارهم كما أنه كان يشير إلى وضع أشعار بعض هؤلاء كما فعل في ترجمته

لحسان بن ثابت وأميرة بن ابي الصلت. (المصدر نفسه: ١١٦)

### الشعر الجاهلي ونحله عند «مرجوليوث»<sup>٤</sup>:

كان «مرجوليوث» من أوائل من أثار الشك في الشعر الجاهلي من المستشرقين وبنى رأيه على ضربين من الأدلة:

١- الأدلة الخارجية:

أ) لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقي: فكيف حفظ؟ إما بالرواية الشفهية وإما بالكتابة. ويبدو أن الرأي الأول هو الذي يذهب إليه المؤلفون العرب، ولا يمكن أنه قد حفظ بالرواية الشفهية للأسباب التالية:

- إذا كان الشعر قد حفظ بالرواية الشفهية فلا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا وجد أفراد مهمتهم حفظه؛ ونحن لانجد هؤلاء إلا خلال العقود الأولى من الإسلام.

- أتباع الشعراء هم الغاؤون فحديث القرآن عنهم فيه احتقار لهم.

ب) فلم يبق إلا الاحتمال الثاني هو: أن هذه القصائد حفظت بالكتابة، فالكتابة أيضا نفيها من وجهين:

- ما يصرح به القرآن نفسه، فإن وجود أدب فصيح قبل الإسلام بلغة القرآن وبالكتابة الحميرية أو بأيّ خط آخر يبدو مناقضاً لتصریح ألفاظ القرآن، فالقرآن يسأل أهل مكة: (أم لكم كتاب فيه تدرسون) القلم/٣٧، ويسأل أهل الكفار والمشركين: (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) القلم/٤٧

- إن الأدب في تطوره يسير عادة من الصور الشاذة غير المنظمة إلى الصور المألوفة المنتظمة، ومن هنا نستنتج أن الشعر الذي يُزعم أنه جاهلي إنما هو مرحلة تالية للقرآن لاسبقته عليه.

- إن رواية القرنين الثاني والثالث الهجريين كحماد الراوية،<sup>٥</sup> وخلف الأحمر،<sup>٦</sup>

والأصمعي،<sup>٧</sup> لم يكن يوثق بعضهم بعضا.

(الأسد، ١٩٨٨م: صص ٣٥٦ إلى ٣٥٨)

٢- الأدلة الداخلية :

أ) في هذا الشعر الجاهلي إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل : الحياة الدنيا ، يوم القيامة ، ويوم الحساب ؛ وإنّ الشعراء من جميع الأمم لا يتكون الناس بعدهم يشكون في أمر ديانتهم ، والعرب في نقوشهم واضحون صريحون في هذا الموضوع ، فإنّ أكثر هذه النقوش تذكر إلهها أو آلهة وأموراً تتصل بعبادتها ، ولكن الإشارات إلى الدين في الأشعار التي بين أيدينا قليلة ، ولانجد من الشعر جوّ الآلهة المتعددة الذي نجده في النقوش .

ب) اللغة : ويكون مدار البحث في هذا الدليل على أمرين :

- إختلاف بين لهجات القبائل المتعددة .
- إختلاف بين لغة القبائل الشمالية واللغة الحميرية في الجنوب غير أنّ هذا الشعر الجاهلي كلّ بلغه القرآن .

ج) إتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرّر في كل قصيدة أمرٌ يدلّ على أنّها نظمت بعد نزول القرآن لاقبله . (المصدر نفسه : صص ٣٦٠ إلى ٣٦٥)

الشعر الجاهلي ونحله عند العرب المحدثين :

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي<sup>٨</sup> :

هو أول من تطرّق إلى هذا الموضوع من العرب المحدثين في كتابه «تاريخ آداب العرب» ، يلخّص الرافعي البواعث التي أدّت إلى الانتحال فيما يلي :

١- شعر الشواهد ، وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو .

٢- تكثّر القبائل ، لتعتاض ممّا فقدته بعد أن راجعت الراوية وخاصّة القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها وكانت أولها قبيلة قريش ، فقد وضعت على حسان أشعاراً كثيرة .

٣- الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولدونها للاستشهاد بها على صحّة مذاهبهم .

٤- الشواهد على الأخبار، فلما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك أن يصنعوا الشعر، فوضعوا من الشعر على آدم(ع)، وأول من أفرط في ذلك «محمد بن اسحاق» .  
٥- الاتساع في الرواية، أراد فحول الرواة أن يتسعوا في روايتهم، لذا وضعوا على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها، وزادوا في قصائدهم التي تعرف لهم، وأدخلوا من شعر الرجل في شعر غيره . (الصادق الرافي، تاريخ آداب العرب، ٢٠٠٠م: ج ١، ص ٣٦٦ إلى ٣٧٩)

#### الأستاذ طه حسين :

ثم استقرّ الموضوع بين يدي الدكتور «طه حسين»، فخلق فيه شيئاً جديداً لم يعرفه القدماء والمحدثون من العرب، متأثراً إلى حدّ كبير ببعض أطروحات «مرجوليوت»، سلك مسلكه، وسار على نهجه حتى انتهى إلى ما انتهى : «من أنّ الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي منتحل بعد ظهور الإسلام ولا يمثل شيئاً من الحياة الجاهلية ولذلك لا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الصحيحة للعصر الجاهلي» . (طه حسين، في الشعر الجاهلي، ١٩٦٢م : ١٩)  
دوافع الشك لدى طه حسين :

١- إنّ الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية للعرب الجاهليين . (طه حسين، في الأدب الجاهلي، د.ت : ٨٨)

ثم فصلّ القول في كل جانب من هذه الجوانب :

أ) الحياة الدينية: إنّ هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يصوّر لنا حياة غامضة جافّة بريئة من الشعور الديني، أو ليس عجيباً أن يعجز الشعر الجاهلي كلّهُ عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين وأمّا القرآن فيمثل لنا حياة دينية قويّة تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل؟! (المصدر نفسه : ٨٨)

(ب) الحياة العقلية: الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة العقلية، أفتظن هؤلاء القوم من الجهل والغبوة والغلظة والخسونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلا، لم يكونوا جهالاً ولا أغبياء وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة. (المصدر نفسه: ٨١)

(ج) الحياة السياسية: إن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم بل كانوا على اتصال قوى، أليس في القرآن سورة تسمى سورة الروم؟ لم يكن العرب إذن كما يظن أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين، فأنت ترى أن القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم. (المصدر نفسه: ٨٢)

(د) الحياة الاقتصادية: أنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب الجاهلي كله دون أن تظفر بشيء ذي غناء يمثل لك الحياة الاقتصادية، لكن إذا قرأت القرآن رأيت أنه يقسم العرب إلى فريقين: فريق الأغنياء وفريق الفقراء؛ وقد وقف الإسلام في صراحة وحزم إلى جانب هؤلاء الفقراء، فالتمس لي هذا أو شيئاً كهذا في الشعر الجاهلي. (المصدر نفسه: ٨٤)

(هـ) الحياة الاجتماعية: هذا الشعر لا يعني إلا حياة الصحراء والبادية، ومن عجيب الأمر أننا لانكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه، وأمّا القرآن فيمنّ على العرب بأن الله قد سخر لهم البحر وبأن لهم في هذا البحر منافع كثيرة. (المصدر السابق: ٨٧)

## ٢- اختلاف اللغة:

إنّ هذا الشعر بعيدٌ كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه. (المصدر السابق: ٨٨)

وإنّ هناك خلافاً جوهرياً بين لغة حمير ولغة عدنان ويرجع هذا إلى أمرين:

(أ) ما قاله أبو عمرو بن العلاء: « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا».

(ب) إنّ البحث الجديد أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة التي كان يستعملها الناس في جنوب البلاد العربية واللغة التي كانوا يستعملونها في شمال هذه البلاد، إذن فما خطب هؤلاء الشعراء



الذين ينسبون إلى قحطان، والذين كانت كثرتهم تنزل اليمن قدهاجرت إلى الشمال؟ إما أنّ هؤلاء الناس كانوا يتكلمون لغتنا العربية الفصحى ففرضُ لاسبيل إلى الوقوف عنده، فقد ظهر أنّهم كانوا يتكلمون لغة أخرى، وإمّا اتّخاذ اهل الجنوب اللغة العدنانية لغة أدبية وهذا مرفوضٌ لأنّ السيادة السياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب قد كانت للقحطانيين دون العدنانيين. (المصدر السابق: صص ٨٩ إلى ٩٨)

### ٣- اختلاف اللهجات:

الرواة مجمعون على أنّ قبائل عدنان لم تكن متّحدة اللغة ولا متّفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام، فإذا صحّ هذا، كان من المعقول أن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة، ولكننا لانرى شيئاً من ذلك في الشعر الجاهلي؛ إذن نحن بين اثنين:

(أ) إما أن نؤمن بأنّه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي.  
(ب) وإمّا أن نعترف بأنّ هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل، وإنما حُمل عليها بعد الإسلام حملاً.

فنحن إلى الثانية أميل منّا إلى الأولى؛ فالبرهان القاطع قائم على أنّ اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس إلى عدنان وقحطان. (المصدر السابق: صص ١٠٣ و ١٠٤)

### ٤- الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث:

إنّا نلاحظ أنّ العلماء قد اتّخذوا هذا الشعر الجاهلي مادّة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما ومذاهبهما الكلامية، حتى إنك تحسّ كأنّ هذا الشعر إنما قُدّ على قدّ القرآن والحديث، لا يزيد ولا ينقص عمّا أراد طويلاً وسعة، وهذه الدقة في الموازنة تحملنا على الشكّ والحيرة، وأن نسأل أنفسنا: أليس من الممكن ألتا تكون هذه الدقة في الموازنة نتيجة

من نتائج المصادفة وإنما شي تكلف أنفق فيه أصحابه بياض الأيام وسواد الليالي؟ (المصدر السابق: ص ١٢٠)

الأسباب التي أدت إلى انتحال الشعر الجاهلي عند طه حسين:

١- السياسة:

إنّ العصبية بين المهاجرين والأنصار، أو عبارة أصحّ، بين قريش والأنصار قد كانت من أهمّ الأسباب التي حملت العرب على انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين؛ نظرت قريش فإذا حظّها من الشعر قليل في الجاهلية فاستكثرت منه في الإسلام. (المصدر السابق: ص ١٣٢)

٢- الدين: ظهر العامل الديني في انتحال الشعر الجاهلي في عدّة أوجه، منها:

أ) النحل الذي يقصد به إلى إثبات صحّة النبوة وصدق النبي وكان هذا النوع موجّهاً إلى عامة الناس.

ب) الأشعار المنحولة التي أضيفت إلى الجاهليين من عرب الجنّ، والغرض من هذا هو إرضاء حاجات العامّة الذين يريدون المعجزة في كلّ شيء.

ج) ما نحل القصّاص لتفسير ما يجدونه مكتوباً في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود ومَن إليهم.

د) شعروا بالحاجات إلى إثبات أنّ القرآن كتاب عربيّ مطابق في ألفاظه للغة العرب فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب.

هـ) العصبية التي حملت العرب على الانتحال كذلك حملت اليهود والنصارى أن يتعصّبوا لأسلافهم من الجاهليين، فنحلوا كما نحل غيرهم وأضافوا إلى السموأل وإلى غيره من شعراء اليهود والنصارى. (المصدر السابق: صص ١٤٧ إلى ١٤٣)

٣- القصص: إنّ القصص العربي لاقيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزيّنه الشعر من حين إلى حين، إذن فقد كان القصص أيام بني أمية و بني العباس في حاجة إلى مقادير لاحدّها

من الشعر يزيّنون بها قصصهم وهناك ثلاثة ضروب من القصص كان بحاجة ماسّة إلى الانتحال:

أ) قصص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمكنة.

ب) قصص المعمرين وأخبارهم.

ج) قصص أيام العرب وأخبارها. (المصدر السابق: صص ١٦٨ إلى ١٧٦)

٤- الشعبية: نحن نعتقد أنّ هؤلاء قد نحلوا أخباراً وأشعاراً أضافوها إلى الجاهليين أو الإسلاميين، ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار، بل هم قد اضطروا خصومهم ومناظرهم إلى النحل والإسراف فيه. (المصدر السابق: ص ١٧٨)

٥- الرواة: كان الرواة يسرفون في اللهو والعبث، وينصرفون عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما يباه الدين، إذا فسدت مروءة الرواه كما فسدت مروءة حماد وخلف و أبي عمرو والسيباني كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء.

وهناك طائفة من الرواه كانوا يتخذون النحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الكسب يريد بهم هؤلاء الأعراب الذين كان يرتحل إليهم في البادية رواة الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب. (المصدر السابق: صص ١٨٨ إلى ١٩٢)

### الردود على طه حسين وأدلّته:

لا يزال الحديث يتردّد حول كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي)، فأخذ العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد، بعضهم اعتدل في النقد والتزم حدود الموضوع ومضى ينقد في أسلوب هادىء، والآخر غلا في النقد حتى اشتدّ وغلب عليه الطابع الشخصي الذي أبعده عن الطرح العلميّ حتى قيل: «إنه حاشية طه حسين على متن مرجوليوت».

(الجندي، د.ت: ١٦٦)

فموضوع الكتاب في ظاهره موجّه للشك في الشعر الجاهلي لكنّه في حقيقته دعامة من دعائم الكفر ومعول لهدم الدين وكأنّه ما وضع إلا ليأتى على هذا الدين من أصوله وذلك لم

يكن مستبعداً من الدكتور طه حسين الذي كان من أعظم ثمار التغريب الواسعة. (صادق الرافي، تحت راية القرآن، ١٤٠٣هـ: ١٦٨)

ثم استقرّ الأمر بين يدي رجال الأزهر ينددون بإلحاد الدكتور طه حسين وكفره على تعاليم الدين الحنيف، ولما رأى الدكتور أنّ الأمر قد بلغ به إلى هذا الحدّ أسرع فاستبدل كتابه بكتاب «في الأدب الجاهلي» لكنّه لم يغيّر شيئاً من جوهره وإنما حذف بعض الكلمات والجمل الجارحة.

و لم يكد يمضي على صدور كتاب «في الشعر الجاهلي» ثم صدور النسخة المعدّلة له التي نشرت في العام التالي بعنوان «في الأدب الجاهلي» حتى كانت هناك مجموعات من المؤلّفات تنتقد الكتاب؛ وتفاوتت نقد هؤلاء، واختلفت طرائقهم. ومن أهمّ المؤلّفات التي برزت في هذا المجال:

- ١- «نقد كتاب الشعر الجاهلي» لمحمد فريد وجدي .
  - ٢- «الشهاب الراصد» لمحمد لطفي جمعة .
  - ٣- «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» لمحمد الخضر حسين .
  - ٤- «التقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي» لمحمد أحمد الغمراوي .
  - ٥- فصولٌ من كتاب «تحت راية القرآن» لمصطفى صادق الرافي .
- و من هنا رأيت دراسة بعض هذه الكتب دراسة تكون تلخيصاً لردود هؤلاء على الدكتور طه حسين :

- ١- الشعر الجاهلي مرآة لنفوس قائله ونفوسهم :
- أ) يدلّ الشعر الجاهلي في جملته على نفوس ناظميه وحياتهم لأنّ الشعر ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم، وعلى الرغم ممّا يبدو للوهلة الأولى من أنّ الشعر الجاهلي محصورٌ في النوع الوجداني الشخصي (البريك) فإنّه في الحقيقة شامل لجميع الأنواع الوصفية والتاريخية والاجتماعية والقصصية. (لطي جمعة، م١٣٤٤هـ.ق: ٧٠)

ب) إنَّ القرآن لا يَصوِّرُ العرب في الجاهلية أمة متديّنة قويّة التديّن، وإنّ هذا لا ينطبق إلا على أهل مكة والمدينة ومن حولها، ولا ينطبق على من حولها مثل ما ينطبق عليهما، ومكة والمدينة وما حولها ليست هي كلّ بلاد العرب، فمن الخطأ الواضح إذن أن يجعل الدكتور ما ينطبق عليهم ينطبق على جميع العرب وأن يستند في ذلك على القرآن. (أحمد الغمراوي، ١٩٢٩م: ١٤٧)

ج) إنَّ معظم شعر العرب كان في الفخر والحماسة وإنّ المسلمين صرفوا عنايتهم عن رواية الشعر الذي يمثّل ديناً غير الإسلام ولا سيّما دين اللات والعزى وعلى الرغم من هذا كلّه، وصلت إلينا بقية من الشعر الذي يحمل شيئاً من الروح الديني تجده في كتاب «الأصنام» لابن الكلبي وغيره. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ٤٨)

د) قياس الشعر الجاهلي في هذا الجانب على القرآن الكريم مردود أو منقوص، لأنّ القرآن كتاب ديني يريد أن يجمع العرب على الإسلام فطبيعيّ أن يعرض لدياناتهم ويناقشها ويبيّن ما فيها من ضلال بخلاف الشعر. (ضيف، ١٩٦٩م: ١٧١)

هـ) إنَّ اتّصال العرب بما حولهم من الأمم لا يصدّق عليهم جميعاً، إنّما يصدّق على قريش وقوافلها التجارية ومع ذلك فقد كان شعراء نجد والحجاز يتّصلون بالغساسنة من أتباع الروم، والمناذرة من أتباع الفرس ويمدحونهم ويهجونهم. (المصدر نفسه: ١٧٢)

و) إنَّ شعر الصعاليك طافح بما يَصوِّرُ النضال بين الأغنياء والفقراء ولا بدّ أن نلاحظ أنّ كثيراً من القرآن نزل في قريش التاجرة التي بلغت مبلغاً عظيماً في الثراء والتي كان يشيع فيها الربا أضعافاً مضاعفة. (خليف، ١٩٥٩: ١٣٢)

ز) لقد عجبتُ لأستاذ الجامعة كيف يعتمد في تصوّر العصر الجاهلي على التاريخ والأساطير؟! وكيف تصحّ عنده الأساطير ويصحّ التاريخ العربي دون الشعر الجاهلي؟! وهل جاء هذا الشعر إلا من الطريق التي جاءت منها الأساطير والتاريخ أي: بالرواية والإسناد والحفظ والتلقين؟! وإذا جاءت ثلاثتها من طريق واحدة وكان الكذب والوضع قد دخلها جميعها فكيف

يكون العصر الجاهلي في اثنين منها دون الثالث؟ (الصادق الرافي، تحت راية القرآن، ١٤٠٣هـ.ق: (١٥٧)

ح) هنا نذكر أشعاراً من الجاهلي يصوّر لنا الحياة الجاهلية:  
- دانت العرب للأصنام واتخذوها إلها، فكان أقدسها كلّها «مناة»، يقول «عبدالعزى بن ودبعة المزني»:

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينِ صِدْقِ بَرَّةٍ بِمَنَاةٍ عِنْدَ مَحَلِّ آلِ الْخَزْرَجِ

- وهذا امرؤ القيس قد ذكره طه حسين وادّعى خلوّ شعره من صورة الحياة الدينيّة ونحن نفندّ دعواه بشعر امرئ القيس إذ يقول:

وَاللّٰهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْبَةِ الرَّجُلِ

هذا البيت من أصدق أبيات العرب. (الشيخواليسوعي، ١٨٩٠م: ج ١، ٥٧)

- ومن عاداتهم «الرتم» كان الرجل إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة، فإذا عاد نظر إليه فإن وجد به بحاله علم أنّ زوجته لم تخنه، قال «الكميّ»:

لَا تَحْسَبَنَّ رَتَائِمًا عَقَدْتَهَا تُنْبِيكَ عَنْهَا بِالْيَقِيْنِ الصَّادِقِ

(لطفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: صص ٧٣ إلى ٩١)

٢- الشعر الجاهلي واللهجات العربية (الدليل اللغوي):

قد أفاض الناقدون في نقد هذا الدليل ونقضه:

أ) إنّ الاختلاف بين اللغة القحطانية والعدنانية قد خفّ في عهد تقدّم ظهور الإسلام بعشرات من السنين، والذي جعل اعتقادنا يدنو من هذه النظرية هو أنّ الاتحاد الحاصل بين القحطانية والعدنانية بعد ظهور الإسلام لا يكون إلا عن تقارب وتشابه هيتئهما ممّا يسرّ أن تكونا لغة واحدة، لأنّ انقلاب لغة إلى أخرى تخالفها في مفرداتها وقواعد نحوها وصرّفها ليس بالأمر الميسور حتى يمكن حصوله في عشرات قليلة من السنين، وإنّ العثور على نقوش باللغة الحميرية يرجع تاريخها إلى المائة الخامسة والسادسة للميلاد لا ينقض هذا الرأى، بل يدلّ على

أنَّ سكَّان الناحية التي انطوت على هذا الأثر ما زالوا على لسان حمير القديم، وهذا لا ينفى أن يكون غيرها من القبائل القحطانية قد ارتاضت ألسنتهم بلغة تشبه اللغة العدنانية. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: صص ٧٠ و٧١)

ب) إنَّ الدكتور مسَّ عبارة أبي عمرو بن العلاء «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريبتنا» بالتحريف، وحوَّله إلى قوله: «وما لغتهم بلغتنا» لقصد المبالغة في الفصل بين اللغتين، وليصرف ذهن القاري عن أن يفهم أنَّ تلك اللغة عربيَّة وإنَّما تختلف عن العدنانية. ومسَّ عبارته بالتحريف مرَّة أخرى فقد حذف «أقاصي اليمن»، حتى لا يأخذ منها القراء أنَّ لغة غير الأقاصي و هي القبائل المجاورة للقبائل المضريَّة ليس بين عربيَّتها وعربية مضر هذا الاختلاف. (المصدر نفسه: ٧٣)

ج) فما هي اللهجات يا أستاذ الجامعة؟ كان ينبغي أن تستقرها قبل أن تعترض بها، فإنَّك لو فعلت لرأيتها في الجملة لا تتغير شيئاً من أوزان الشعر، فهي في معظمها: بين إبدال حرف بحرف، أو حركة بحركة، أو مدِّ بمدِّ، وكلِّ ذلك لا يؤثر في إقامة الوزن كثيراً ولا قليلاً، والاختلاف في الحقيقة هيئات في النطق والصوت أكثر ممَّا هو هيئات في الوضع واللغة، ومع ذلك فقد نصَّوا على أنَّ العربي الفصيح غير مقيد بلغة قبيلته إذا نافت طبع الفصاحة فيها، ومن القبائل من تأخذ لغة غيرها كما فعلت قريش فقد كانت لا تهتمز، فلما نزل القرآن بالهمز اتخذت هذه اللهجة. (صادق الرافي، ١٤٠٣م: تحت راية القرآن، ١٤٨)

د) عندنا نصُّ عن ابن الكلبي أنَّ العرب لم ترو من شعر الجاهلية إلا ما كان إلى مائة سنة قبل الإسلام أي: عمر رجلين يروي أحدهما عن الآخر وذلك هو الزمن الذي نهضت فيه اللغة وأخذ العرب بعضهم عن بعض. (المصدر السابق: ١٤٨)

هـ) لقد جهل المؤلف أو تجاهل أنَّ اختلاف اللهجات (اللغات) كان قائماً، واستمرَّ بعد ظهور الكتاب المنزل على أفصح العرب، ولا شكَّ في أنَّ قبائل العرب على اختلافها قد قالت الشعر بعد الإسلام ولم يظهر فيه اختلاف اللهجات. (لظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ١٤٥)

٣- أجمعت الروايات أنّ الشعراء في جنوب الجزيرة وشمالها أصبحوا من قبل الإسلام ينظّمون الشعر بلهجة واحدة (قريش) أو متقاربة :

(أ) أثبت العلماء اللغويون أنّ العرب كانوا يأخذون الألفاظ والكلمات بعضهم عن بعض بالاختلاط والجوار ، فكان قريش يسمعون لغاتهم ؛ وقد ساعدتهم الحضارة في جوار الكعبة ، فلطفت طباعهم ، وارتفعت لغتهم على سائر اللغات (اللهجات) ، وكانت الأسواق الأدبية التي يقيمونها العرب مظهراً من مظاهر الحضارة ، و وسيلة من وسائل التمدين ؛ فاضطرّ فحول الشعراء والخطباء إلى منطق قريش ولغتهم ولهجتهم . (بروكلمان ، ١٩٤٩م : ج ١ ، ٤٢ ، وبلاشير ، ١٩٨١م : ج ١ ، ٧٧)

(ب) أجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم أنّ قريشاً أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة . (سيوطي ، د.ت : ج ١ ، ٢١١)

(ج) كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم ، حتى إنّ سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الفصاحة العربية . (ابن خلدون ، ١٩٩٣م : ٤٠٩)

(د) إنّ لهجة قريش عمّت في الجزيرة منذ أوائل القرن السابع الميلادي وأتخذها الشعراء لغة أدبية لهم ، ينظّمون فيها أشعارها مرتفعين غالباً عن لهجات قبائلهم المحلية . (ضيف ، ١٩٦٩م : ١٧٢)

٤- ومع كلّ هذا فهناك أشعار جاهلية يظهر فيها اختلاف اللهجات :

(أ) قال شاعر من بني تميم :

ولا أَكُولُ لِكَدْرِ الكَوْمِ قَدْ نَضَجَتْ      ولا أَكُولُ لِبابِ الدَّارِ مَكْفُولُ

يريد : لا أقول لقدرا القوم الخ ، و هي القاف المعقودة التي ينطقونها بين القاف والكاف ، وكانت شائعة بين العرب وهي غير القاف الخالصة التي يقرأ بها القرآن . فهل رُوي كلّ شعر بني تميم



على هذا الوجه؟ وماذا لو أبدلت الكاف في البيت قافاً لتوافق اللغة الفصحى في الإنشاد. (صادق الرافعي، مصطفى، تحت راية القرآن ١٤٠٣هـ.ق: ١٤٨، ١٤٩).

ب) قال امرؤ القيس:

كَجُلْمُودٍ<sup>١٠</sup> صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

من «عل» يعني من «فوقه»

ج) وقد ترد كلمة «بعد» بمعنى «عن»، كما جاء في قول النابغة:

لآلِ الْجَلَّاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ

يقصد: كابرًا عن كابر

د) جاءت «متى» في لغة «هذيل» بمعنى «من». قال شاعرهم:

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ  
مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهْنٌ نَتِيحٌ<sup>١١</sup>

(لظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ١٥٤ إلى ١٥٧)

### نقد أسباب انتحال الشعر الجاهلي عند طه حسين

١- السياسة ونحل الشعر: أجمع النقاد على أن الدكتور طه حسين لم يورد شيئاً من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة إلى نحله، ومع أنه أطنب في الحديث عن المقدمات الظنية والفروض المتخيلة ولكنه لم ينته بها إلى النهاية التي يدل عليها عنوان الفصل. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ١٨٥، ولظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ١٩٣)

٢- الدين ونحل الشعر:

أ) ينكر المؤلف كل ما يروى من الشعر والأخبار الممهدة للبعثة النبوية، وإنكارها على هذا الوجه إنما تسمعه ممن ربط قلبه على نفي النبوة، إذ ليس من المحتمل عنده أن يقال فيها شعراً قبل أن يدعيها صاحبها، أما الذين يعتقدون بأن نبوة أفضل الخلق حق فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتصل بها. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ١٨٨)

ب) يريد مؤلف كتاب «الشعر الجاهلي» أن يخدع القارئ ويوهمه أن كل ما في الأدب العربي من نثر وشعر عن الجن إنما وُضع بعد الإسلام لتبرير سورة الجن، والحقيقة أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بالجن، ونظموا شعراً جاهلياً كثيراً على علاقة الجن بالشعر والشعراء، ولم تكن أمة سامية أو آرية تخلو من الاعتقاد بالجن أو الأرواح الخيرة والشريرة. (لظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ٢١٢)

ج) إن انتظار بعض علماء العرب وكهّانهم وأخبار اليهود ورهبان النصارى لبعثة نبي عربي من المسائل التي ذكرها القرآن، وفي سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ والسير نعثر على هذه المسألة ولا سيّما فيما يمهد لبعثة النبي (ص)، ولكن لانجد بيتاً واحداً من الشعر في هذا الموضوع. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ٣٥)

د) إن ما ذكره طه حسين من منحول الشعر لإثبات عربية القرآن أمرٌ فيه غلوٌ وفيه خطأ، أمّا الغلو في قوله: إنهم استشهدوا على كل كلمة منه، بين أيدينا التفسيران اللذان عنيا بهذا الإستشهاد، وهما: تفسير الطبري، وتفسير الزمخشري، ومع ما فيهما من الشواهد الكثيرة فإن ادعاء الاستشهاد على كل كلمة لا يؤيد الواقع، وأمّا الخطأ، إن أكثر هذه الشواهد لشعراء إسلاميين، وقليل منها ما هو لشعراء جاهليين أو مجهولين، وليس الاستشهاد لإثبات عربية القرآن وإنما هو لبيان مفهوم الكلمات. (المصدر نفسه: ٤١ و ٤٢)

٣- القصص ونحل الشعر: قد ذهب النقّاد إلى أن الدكتور طه حسين لم يأت بشئ جديد لم يذكره القدماء ولكنه زاد عليهم بأن عمّم وأطلق أحكاماً كلية. (المصدر نفسه: ص ٢٤٥، ولظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ٢٤٥)

٤- الشعوبية ونحل الشعر: إن الدكتور طه حسين عقد فصلاً للشعوبية ونحل الشعر الجاهلي، ولكنه لم يقدّم دليلاً على التلازم بينهما بل لم يأت برواية تدل على أن بعض الشعوبية إنتحل شعراً جاهلياً. (الخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ص ٤٥، ولظفي جمعة، ١٣٤٤هـ.ق: ٢٤٨)

٥- الرواة ونحل الشعر: إن كان بعض المتعاصرين والأنثاد من الرواة طعن بعضهم في بعض، فليس في الطعن حجّة أو دليل على صحّة التهمة؛ لأنّ اتّحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة، لهذا قال الأقدمون: «إنّ المعاصرة حجابٌ»؛ فلا يجوز إذن أن نأخذ بما يقوله الرواة بعضهم في بعض. (المصدر نفسه صص ٢٧١ و٢٧٢، والخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ٢٦٤)

### النتيجة

١- الحقّ أنّ الشعر الجاهلي فيه موضوع، غير أنّ ذلك لم يكن غائباً عن القدماء، فقد عرضه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة، وصيغته وألفاظه من جهة ثانية؛ أو بعبارة أخرى عرضه على نقد داخلي وخارجي دقيق. إذن فالقدماء قد أحاطوا الشعر الجاهليّ بسياج محكم من التحريّ والتتبّط، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال: مرجوليوت وطه حسين في الشكّ فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه؛ إنّما نشكّ حقاً فيما يشكّ القدماء ونرفض ما يرفضونه. وأما ما وثقوه من مثل: أبي عمرو بن العلاء، والمفضلّ الضبيّ، والأصمعيّ فحريّ أن نقبله ماداموا قد أجمعوا على صحّته. ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للامتحان وأن نرفض بعض ما رووه على أسس علميّة منهجيّة للمجرّد الظنّ، كأن يُروى لشاعر شعرٌ لا يتصلّ بظروفه التاريخيّة، أو تجري فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته، أو يضاف إليه شعرٌ إسلاميّ النزعة ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمساً.

٢- صعبٌ جدّاً أن نقرّ أنّ كلّ ما وصلنا من شعر قديم هو صحيح سليم الرواية، فقد أخضع الشعر لرغبات سياسية واجتماعية، والأصعب أن ننفيه كلّه وأن نزعّم أنّه منحولٌ عليهم لأنّ كتب السلف لم تنته إلينا بجملتها، ولا انتهى أكثرها، ولا ما يقال فيه أنّه كثير، فكيف يجوز لنا أن نحكم على شعر الجاهلية بأنّه موضوع أو محمولٌ على أهله، أو الكثرة المطلقة منه موضوعة محمولة، بيننا وبين الجاهلية خمسة عشر قرناً، وقد باد أكثر الكتب، إذن فلا يجوز لباحث أن

يثبت أو ينكر، ويزيد أو ينقص إلا بنصّ عن المتقدمين، لأنّ العلم لا يمكن أن يستقيم على الظنّ ولا أن يصحّ على الشكّ.

٣- إنّ الشعر المنسوب إلى الجاهلية ثلاث ضروب:

أ. موضوع محمول: وأكثره إمّا من وضع القصّاص ليحلّوا به قصصهم أو يكسبوه في نفوس السامعين، كالذي وضعه على لسان آدم(ع)، أو على لسان بعض العرب البائدة، وإمّا أن يكون من وضع بعض الرواة ليثبتوا به نسباً، أو يدلّوا على أنّ لبعض العرب قدمة وسابقة.

ب. صحيح: وذلك هو الذي أجمع العلماء الرواة على إثباته بعد أن تدارسوا هذا الشعر وفحصوه ومحصّوه.

ج. مختلف فيه: وهو الذي قال عنه ابن سلّام وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في بعض الأشياء.

٤- من أعزّ نظريات طه حسين على نفسه أنّ الشعر الجاهلي لا يمثل حياة أهله، وهو يستشهد بأنّ القرآن الكريم أكثر منه عن حياة الجاهليين الدينيّة. وفاته أنّ القرآن كتاب ديني كان من همّه أن يحارب الديانات السابقة، وأنّه قانون مدني كان عليه أن يدرس حالة المجتمع قبل أن يسنّ القوانين، وأنّ الشعراء ليسوا على شيء من ذلك، بل جلّ ما كان يهتمّهم من القوم حالتهم البدويّة، من حيث النهب والسلب والغزوات والفخر والمواسم، وشعرهم من هذا القبيل حافل بالكثير من الصور الساذجة الخالية من تأثير الحضارة البرّاقة حتى أصبح من الثابت عند علماء الشرق والغرب أنّ الشعر الجاهلي يمثّل فطرة الجاهليين أصح تمثيل.

٥- وأخيراً نرى أنّ إنكار الدكتور طه حسين لشعر فلان أو للشعر الجاهلي بإجماله كثير الجسارة لا يسكن إلى الثابت من البراهين العقليّة ولا النقليّة، ومع هذا كلّه فإنّ مبدأه حسن يجمّل بنا أن نتّخذة قاعدة في درس الآداب، فنشكّ عند أول فرصة للشكّ ونبحث في موضوعه دون أن ننفي بطريقة عامة وحكم باتّ كل الشعر الجاهلي.

### الهوامش :

١- عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري. كان مؤرخاً، عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب وُلد ونشأ في البصرة (٢١٣ هـ) وتوفي بمصر.

أشهر كتبه: السيرة النبوية، المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن اسحاق. (الزركلي، ٢٠٠٧م: ج ٤ ص ١٦٦، وابن خلكان، ١٩٤٨م: ج ١، ٢٩٠، وابن كثير، ١٩٨٨م: ج ١٠، ٢٦٧)  
٢- محمد بن سلام الجمحي، إمام في الأدب وُلد في البصرة (٢٣٢ هـ) مات ببغداد، له كتب منها: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث: يكتب عنه الشعر، أما الحديث فلا. (ابن نديم، ١٣٤٣هـ.ق: ١١٣، والصفدي، ١٩٦٢: ج ٣، ١١٤، الزركلي، ٢٠٠٧م: ج ٦، ١٤٦)

٣- محمد بن إسحاق من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له: «السيرة النبوية». هذبها ابن هشام، وُلد سنة ١٥١ هـ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ، وسكن بغداد، فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران. (دائرة المعارف الإسلامية ج ١، ٨٨، والزركلي، ٢٠٠٧م: ج ٦، ٢٨)

٤- دافيد صمويل مرجوليوث بن حزقيال الإنجليزي البروتستاني من كبار المستشرقين من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي البريطاني وجمعية المستشرقين الألمانية، مولده ووفاته بلندن تعلّم في جامعة أكسفورد وعيّن أستاذاً للعربية وله كتب عن الإسلام والمسلمين لم يكن فيها مخلصاً للعلم على الرغم من توسّعه في معرفة المسلمين وأدبهم. (الزركلي، ٢٠٠٧م: ج ٢، ٣٣٠)

٥- حمّاد بن سابور الراوية أوّل من لُقّب بالراوية، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها، أصله من ديلم ومولده في الكوفة (٩٥ هـ) جمع السبع الطوال (المعلقات) جال في البادية ورحل إلى الشام وتقدّم عند بني أمية، توفي في بغداد (١٥٥ هـ). (المصدر نفسه: ج ٢،

٦. خلف بن حيان المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر من أهل البصرة وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، توفي سنة ١٨٠ هـ.  
(المصدر نفسه: ج ٢، ٣١٠، والحموي، د.ن: ج ٤، ١٧٩)
٧. عبدالملك بن قريب بن علي الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده في البصرة سنة ١٢٣ هـ ووفاته في البصرة سنة ٢١٦ هـ، كان كثير التطواف في البوادي وكان يسمي شيطان الشعر. (الزركلي، ٢٠٠٧: ج ٤، ١٦٢)
- ٨- الفرق بين نظرية طه حسين ومصطفى صادق الرافعي في قضية النحل في الشعر الجاهلي هو أن طه حسين يعتقد أن الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي منحولة ليست بالجاهلية، وأما الرافعي فهو يعتقد أن الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي جاهلية وإنما شك فيه بقدر ما شك فيه القدماء خلافاً لطله حسين. و يعتقد أن موضوع الكتاب (في الشعر الجاهلي) في ظاهره موجه للشك في الشعر الجاهلي لكنّه في حقيقته دعامة من دعائم الكفر ومعول لهدم الدين.
٩. الرتيمة ج رتائم: خيط يشند في الأصبع لتذكّر به الحاجة.  
تنبيك: تخبرك.
١٠. الجلمود ج جلاميد: الصخر
١١. اللجة ج لجج: معظم الماء، الجماعة الكثيرة. نئج: يقال «لريح نئج» أي: مرّ سريع بصوت. (ابن منظور، ١٤٠٨ هـ).

### المصادر والمراجع:

- ابن خلدون، عبدالرحمان، المقدمة، دارالكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ م.  
ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.  
ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دارالكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.  
ابن قتيبة، الدينوري، الشعر والشعراء، دارالحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.ق

- ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفدا، اسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.
- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
- ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، ترجمة: رضا تجدد، انتشارات كتابخانه ابن سينا، تاريخ نشر: ١٣٤٣ ق.
- ابن هشام، عبدالملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، مصر ١٣٥٥ هـ.
- أحمد الغمراوي، محمد، النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٢٩ م.
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة السابعة، دارالمعارف بمصر ١٩٨٨ م.
- الإصفهاني، ابوالفرج، الأغاني، الشرح سمير جابر، الطبعة الأولى، دارالفكر بيروت، ١٤٠٧ هـ.ق.
- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، الطبعة الثالثة، دارالمعارف مصر، ١٣٨٩ ق ١٩٦٩ م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، المترجم: عبدالحليم النجار وآخرون، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٤٩ م.
- بلاشير، ريجيس، تاريخ الأدب العربي، ترجمه: إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية، دارالفكر العربي، دمشق ١٩٨١ م.
- الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- ، الحيوان، تحقيق، عبدالسلام هارون، دارالجيل للطبع والنشر، بيروت ١٩٩٦ م.
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- الجندي، أنور، محاكمة فكر طه حسين، دارالناصر للطباعة الاسلامية، شبرا، مصر، د.ت.
- الحموي، ياقوت، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، طبعة ليدن، د.ت.
- الخضر، حسين محمد، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٥ قمرى.
- خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، طبع دارالمعارف القاهرة، ١٩٥٩ م.
- دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، إشراف: كاظم الموسوي البجنوردي، مركز دائرة المعارف الاسلامية. طهران ١٣٧٠ ش ١٩٩١ م.

- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دارالعلم للملبيين ، الطبعة السابعة عشرة ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، طبع البايي الحلبي ، دون تاريخ .
- الشيخو ، لويس ، شعراء النصرانية ، بيروت ١٨٩٠ م .
- صادق الرافي ، مصطفى ، تاريخ آداب العرب ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٠ م .
- \_\_\_\_\_ ، تحت راية القرآن ، الطبعة الثامنة ، دارالكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، انتشارات جهان ، تهران ، ١٣٨١ ق / ١٩٦٢ م .
- ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، الطبعة السابعة ، دارالمعارف مصر ، ١٩٦٩ م .
- طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، الطبعة الرابعة ، دارالمعارف ، مصر ، دون تاريخ .
- \_\_\_\_\_ ، في الشعر الجاهلي ، دارالكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦ م .
- الفاخوري ، حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، دارالجيل ، بيروت ١٩٨٥ م .
- لطفی جمعة ، محمد ، الشهاب الراصد ، المطبوعة الاولى ، مطبعة المقتطف والمقظم بمصر ١٣٤٤ هـ .